الوسط
يومية سياسية مستقلة
Alwasat
opinion@alwasatnews.com
العدد 5206 الخميس 8 ديسمبر 2016 الموافق 8 ربيع الأول 1438هـ
Thursday 8 December 2016, Issue No. 5206

مريم الشروقي
maryam.alsherooqi@alwasatnews.com

هل نغيّر الفكرة عن دونالد ترامب؟!

□ دونالد ترامب الثري الأميركي، الذي أتى بصورة الكاوبوي ولمع اسمه على 16 مرشّحاً، وفي النهاية فاز بالانتخابات الأميركية على الشقراء هيلاري كلينتون، يقوم اليوم بإطلاق التغريدات والتصريحات في مواقع التواصل الاجتماعي أو في التلفاز، مقاطع صور ومقاطع صوت، يتكلّم فيها عن رؤيته حول الولايات المتّحدة الأميركية.

بالطّبع كنّا نأمل أن تكون هيلاري كلينتون هي رئيسة الولايات المتّحدة الأميركية، ولكن هذا لم يحدث، على رغم أنّ هناك توجُّهاً لفرز الأصوات في متشيغان وويسكنسون ولويزيانا مرّة أخرى، ويأمل كثير من النّاس أن تكون هيلاري هي الرئيس ولو في النفس الأخير، وعلى رغم النسبة المئوية التي قد تُحدث تغييراً تاريخياً لأوّل مرّة في تاريخ أميركا.

دونالد ترامب مازال يصر على موقفه اتجاه العرب واتّجاه الهجرة غير الشرعية للولايات المتّحدة الأميركية، ولكن التصريح الأخير حول الطائرة الرئاسية «بوينج 747»، حيث أخبر الصحافيين أنّه يريد أن يلغي العقد حول هذه الطائرة، لأنّ تكاليفها جنونية، وأنّه يريد للشركة أن تربح ولكن ليس بهذا الحد!

صريح جدّاً هذا الكاوبوي، ولا يلف يميناً ولا يساراً، يعرف ما يريد لأنّه تاجر، وقد يكون سيئاً في السياسة ولكنّه حتماً ليس سيئاً في المال، وما قام به هو خطوة جديدة على المجتمع الأميركي، ولا ندري ما يُخبّئ المستقبل للأميركان مع هذا الرئيس الجديد والنادر في تصرّفاته، ولا نعلم أيضاً إن كانت الولايات المتّحدة الأميركية في مأمن معه أم أنّها تمشي على نظام معيّن لا دونالد ولا هيلاري يستطيعان تغييره.

الذي نعلمه أنّ العقد للطائرة الرئاسية الجديدة تمّ منذ فترة، وإلغاؤه يعني خسارة الولايات المتّحدة الأميركية ملايين الملايين، فهل سيقبل الكونغرس الأميركي ما صرّح به رئيسهم أم هناك من سيردعه؟! لا ندري! فمع دونالد ترامب ليس هناك روتين، وكلّ يوم تصريح جديد و «أكشن» كبير!

أيضاً يريد ترامب أن يضع ضريبة على المنتجات الصينية، لأنّ الصين تضع ضريبة على المنتجات الأميركية ولكن الأميركان لا يضعون ضرائب، وفي حال قام دونالد ترامب بهذا العمل الخطير جدّاً، هل سيقوم أيضاً برفع الرواتب؟! إذ إنّ البضائع الأميركية بلا شك أغلى بكثير من البضائع الصينية!

المجتمع الأميركي في حالة قلق على ما نعتقد، فهم لا يدرون إن كان رئيسهم المنتخب يدرس خطواته أم يصرّح يمنة ويسرة من دون فكر! وقيادة الولايات المتّحدة الأميركية لا تأتي من التصريحات والتخمين، بل كنّا نعهدها دوماً في ثبات وخاصة عند تصريحات كبار مسئوليها، ناهيك عن رئيسها!

نبارك للمجتمع الأميركي رئيسهم الجديد، ولا ندري هل نغيّر الفكرة عن دونالد ترامب أمّ سيكون دوماً مصدر قلق لجميع دول العالم وشعوبها؟! وتذكّروا: عدوٌ عالم خير ألف مرّة من صديق جاهل لا يضع نصب عينيه المصلحة العامّة!

لقراءة المقالات السابقة

أن تقرأ... أن تكون سيِّدَ وقتِك

جعفر الجمري
jaffar.aljamri@alwasatnews.com

□ ما يعمل على إعادة نظرك في العالم والناس والأشياء والروائح، هناك في كتاب، هو حصيلة خبرات وتجارب وتعمُّق في المعارف والتأمل. هو حصيلة قدرة أولئك البشر على النظر الآخر، والتعبير الآخر، والرؤية الأخرى، والطاقات التي ترى أولها، ولكن من الصعب أن تُحيط بآخرها، هذا إذا كانت لمثل تلك الطاقات من نهايات، مادامت وجدت في هذا العالم كي تتعلم وتتأمل وتتألم أيضاً، وتخرج بحصيلة من كنوز بفعل كل ذلك التنوع الجميل في انفتاحها على المعرفة.

لن تجد ما يأخذ بيدك من أول الليل حتى فسحة الصباح وشرفته مثل كتاب وضعه صاحبه ذات ليل وأنت تنعم بنومك، أو وضعه صاحبه وهو يكابر آلامه، وأنت تلهو وتتمتع بوقتك، أو وضعه وهو في غربة وأنت تتقلَّب بين تفاصيل الوطن الذي ولدت فيه، ببشره، وشمسه... برفاهية بعض مدنه، والشقاء الذي يتم التستُّر عليه في بعض آخر.

لم يصنع كل هذا المدهش في العالم من حولنا إلا فكرة في كتاب، أو بعض جنون في تخيُّل وتمنٍّ. لم يصنعه إلا التوغُّل في مناطق لم يجرؤ كثيرون من الاقتراب منها، فقط كي لا يُتهموا بالجنون. قبل أولئك بالجنون كي ينمو عقل العالم أكثر. لم يجدو غضاضة في أن يُنظر إليهم باعتبارهم غرباء، مادام ما يكتبون سيعمل على إنهاء غربات كثيرين، أو على الأقل تحييدها، أو الحد منها.

يوم أن كانت حركة نشر الكتاب لا تكاد تُذكر، وإلى الخاصة أقرب من العامة، لم يفقد سحره ووهجه بحرص أجدادنا وآبائنا على اكتساب معارفهم وإدراكهم منه، علاوة على منزلته ومكانته عند الخاصة التي كانت تجل الكتاب وأصحابه، وتستقطب النابهين منهم، من قمة الهرم إلى الذين يديرون شئونهم، وصولاً إلا المشتغلين بصناعته.

نقف على إضاءات من تاريخنا العربي والإسلامي، في فترة شهدت احتلال العلماء والكتَّاب مكانة مرموقة وذات أثر كبير، ومن بين ما نقف عليه ما قاله كاتب هارون الرشيد قبل أن يلي الخلافة، ثم أصبح وزيره بعد أن تولاها يحيى بن خالد البرمكي: «أدركت أهل الأدب وهم يكتبون أحسن ما يسمعون ويحفظون أحسن ما يكتبون ويتحدثون بأحسن ما يحفظون».

ولا يأتي التحدّث بأفضل ما يتم حفظه إلا بأثر من مصدر الحفظ: الكتاب الذي اكتسب مكانة كبيرة في فترة ازدهار الدولة العباسية بدءاً من هارون الرشيد، ووصل ذروته في عهد ابنه المأمون.

أما الإمام الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي، المتوفى سنة 790هـ وهو من علماء الأندلس، فقد قال ما هو قريب من ذلك: «كان العلم في صدور الرجال ثم انتقل إلى الكتب ومفاتحه بأيدي الرجال».

ولعل من بين أعمق ما قيل عن القراءة ومحصلاتها ما قاله الكاتب والفيلسوف الفرنسي فولتير (ولد في 21 نوفمبر/ تشرين الثاني 1694، وتوفي في 30 مايو/ أيار 1778): «سُئلت عمَّن سيقود الجنس البشري؟ فأجبت: الذين يعرفون كيف يقرؤون». والمعرفة هنا لا تعني المباشر من معرفة الأبجدية فحسب، بل تعني مآلات تلك القراءة. فأن تقرأ دون أن تتغير فكأنك لم تفعل. التعويل على ما يمكن للقراءة أن تحدثه من تغيير كبير يطال كل مناحي الحياة التي أنت مركزها.

وليس بعيداً عن ذلك، وإنْ بشاعرية مرهفة، ما قاله الشاعر والعالم الإنجليزي، الذي عُرف بقصيدته «الفردوس المفقود»، جون ميلتون (ولد في 9 ديسمبر/ كانون الأول 1608، وتوفي في 8 نوفمبر 1674): «الكتابُ النافعُ المفيد دمُ الحياة الثمين، لغذاء الروح المترفة».

وليس من قبيل الاكتشاف تقرير أن الأمم التي تفتح أكثر من فضاء وسماء للكتاب لن تكون على الأرض. إنها تعلّم أبناءها أن يحلّقوا بأكثر من جناح، وتسكنهم أكثر من روح، بتلك الممارسة النبيلة. وأن تقرأ، فذلك يعني الفعل في أول ما يعنيه: أن تذهب إلى ما بعد الإدراك بمراحل. أن تكون سيد وقتك.

لقراءة المقالات السابقة

أي مستقبل تدخله أميركا والعالم!

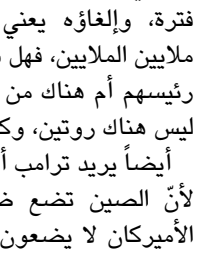

صبحي غندور
مدير مركز الحوار العربي في واشنطن

□ أصبح من الواضح الآن أنّ الإدارة الجيدة التي ستحكم الولايات المتحدة لن تتناقض كثيراً في سياساتها مع مضمون التصريحات التي كان دونالد ترامب يدلي بها خلال حملاته الانتخابية. فتعيين ستيف بانون المعروف بمواقفه العنصرية ضدّ السود، كمستشار إستراتيجي للرئيس الجديد، وتعيين الجنرال مايكل فيلين، المساهم حديثا في حملة «الإسلاموفوبيا» داخل أميركا، كمستشار للأمن القومي، ثمّ تعيين السيناتور جيف سيشنز، المشهور بمواقفه ضدَّ المهاجرين وبتأييده للجماعة العنصرية «كوكلاس كلان»، وزيراً للعدل، تتوافق هذه التعيينات كلّها مع سياسات أكّد عليها ترامب في عدّة مناسبات، وأثارت الكثير من المخاوف والقلق داخل الولايات المتحدة وخارجها.

وإذا كان الأميركيون الأفارقة والمهاجرون الجدد والأقليات الإسلامية والعربية واللاتينية هم الأكثر حذراً الآن من تداعيات المستقبل القريب داخل المجتمع الأميركي، فإنّ سياسات الإدارة الجديدة لن تقلّ خطورة على المستوى الخارجي. فنهج إدارة ترامب سيوقظ من جديد مقولة «الخطر الإسلامي» القادم على الغرب، تلك المقولة التي بدأت في عقد التسعينات ثمّ ازدهرت في مطلع القرن الحالي مع «المحافظين الجدد» في إدارة جورج بوش الابن، والذين استثمروا أحداث 11 سبتمبر 2001 لصالح أجندتهم الدولية.

ولن تتناقض أيضاً توجّهات الإدارة القادمة مع تصريحات ترامب بشأن روسيا. فأولوية المواجهة مع «الخطر الإسلامي» تقتضي مؤقّتاً وقف التركيز على روسيا بأنّها الخطر الأول على دول الغرب، وهو الأمر الذي أشاعته إدارة أوباما في السنوات القليلة الماضية. وربما سنسمع تبريرات من إدارة ترامب القادمة، لهذا التراجع في الموقف من روسيا بالقول إنّ أميركا والغرب عموماً تعاونا مع موسكو الشيوعية لمواجهة النازية في الحرب العالمية الثانية، فلِمَ لا يكون التعاون الآن في مواجهة «الإرهاب الإسلامي»!

لكن ما الذي يمكن أن تفعله الإدارة القادمة في «حربها على الإرهاب» غير الذي تفعله الآن إدارة أوباما؟. الفارق الوحيد ربّما سيكون في كيفية التعاطي مع إيران، حيث ستقف إدارة ترامب في صفٍ واحد مع حكومة نتنياهو الإسرائيلية، والتي كانت ترفض الاتفاق الدولي مع طهران وتسعى إلى تصعيد عسكري تتورّط فيه الولايات المتحدة ضدّ إيران، وستتوافق أيضاً الرؤى بين واشنطن وتل أبيب بشأن الملف الفلسطيني والاستيطان واعتبار أي مقاومة ضدّ إسرائيل حالة إرهابية، تماماً كما كانت الأمور في عهديْ شارون وبوش الابن.

ستشهد الولايات المتحدة والعالم الكثير من المتغيّرات في ظلّ إدارة ترامب القادمة، وربما أهمّ هذه المتغيّرات ما بدأت تعيشه عدّة ولايات أميركية من حالات استفزاز وإساءة لمهاجرين جدد وللمسلمين، وما هو يحدث في أوروبا من انتعاش للتيّار اليميني المتعصّب. فالمسألة ليست مرتبطة بشخص ترامب، بل بالتيّار السياسي والشعبي الذي دعمه وانتخبه وجعله يأتي الآن بمن يمثّلون هذا التيار الى حكم الدولة الأعظم في العالم.

هذه المتغيّرات تحصل في الحياة السياسية الأميركية منذ مطلع هذا القرن الجديد، وبعد تداعيات 11 سبتمبر 2001، حينما ارتبط موضوع الأمن الداخلي الأميركي بحروب كبيرة في العالم الإسلامي، وبمسائل لها علاقة بالعرب وبالمسلمين وبالأقليات الدينية والعرقية في أميركا، إضافةً طبعاً للدور الخطير الذي قام به من عُرِفوا باسم «المحافظين الجدد» في صنع القرار الأميركي، وفي تغذية مشاعر الخوف لدى عموم الأميركيين، ما دعم أيضاً الاتّجاه الديني المحافظ في عدّة ولايات أميركية، وخاصّةً بعد فوز باراك أوباما بمنصب الرئاسة في العام 2008 وما سبّبه ذلك من عودة مشاعر العنصرية لدى بعض الأميركيين، وخوفهم على نهاية عصر «أميركا البيضاء البروتستانت الأنجلوسكسون».

وممّا يلفت الانتباه أنّ الدستور الأميركي يمنع الحكومة الاتحادية المركزية من التدخّل في صلاحيات الولايات الخمسين التي يتألّف منها «الاتحاد الأميركي» لكن هذا الدستور لا يمنع إطلاقاً الحكومة المركزية (الإدارة) من التدخّل في شئون الدول الأخرى!

إنّ «واشنطن» كانت طيلة قرنٍ من الزمن طرَفٌ مباشر ومتدخّل في معظم القضايا والأزمات الدولية، ولكن ما يهمّ المنطقة العربية أنّ الولايات المتحدة كانت في مطلع القرن الجديد الحالي الصانع الأبرز للأوضاع العربية الراهنة، فهي بعدما ألغت في عقد التسعينات مرجعية الأمم المتحدة للصراع العربي/ الإسرائيلي وجعلت من نفسها المرجعية والحَكم، قامت واشنطن أيضاً في العام 2003 باحتلال العراق وبتغيير مصيره الوطني والسياسي تبعاً لذلك الاحتلال. وكانت واشنطن أيضا، منذ عقدٍ من الزمن، وراء الاتفاق الذي أدّى في العام 2010 إلى انفصال جنوب السودان عن شماله. كما كانت واشنطن طرفاً مباشراً في ما حدث ويحدث في المنطقة العربية من حروبٍ إسرائيلية على لبنان والأراضي الفلسطينية، ومن تطورات سياسية وأمنية جذرية تحدث في عدّة بلدان عربية منذ اندلاع الانتفاضات الشعبية في مطلع العام 2011، والتي أفرزت ما هو أولوية دولية الآن من حربٍ على الإرهاب، ساحاتها العملية هي الأرض العربية، ورؤوس قادة الإرهاب هم من العرب المسلمين!

وقبل كلّ هذه القضايا الراهنة، كانت واشنطن عرّاب الاتفاقات والمعاهدات التي حصلت بين مصر والأردن ومنظمّة التحرير مع إسرائيل، والضامن لاستمرار الحكومات والظروف التي تدعم هذه المعاهدات، والضاغط على كل الأطراف العربية لفرض التطبيع مع إسرائيل قبل انسحابها من الأراضي العربية المحتلة، وقبل قيام الدولة الفلسطينية المستقلة، وقبل الحلّ العادل لقضية اللاجئين الفلسطينيين!

هذا التدخّل الأميركي في شئون البلدان العربية وقضاياها هو بمعظمه تدخّل سلبي جلب ويجلب ردود فعلٍ سلبية على السياسة الأميركية ومصالحها في المنطقة، وخاصة في ظلّ وجود وتأثير «السياسة الإسرائيلية» على السياسات العامة الأميركية.

فما يحدث بالخفاء والعلن في المنطقة العربية، منذ مطلع هذا القرن، من تهيئةٍ سياسية وأمنية لإعادة خلط كيانات المنطقة وفرزها من جديد على أشكال مختلفة عمَّا هي عليه الآن نسبياً، هو أمرٌ معنية به أولاً وأخيراً الإدارات الأميركية المتلاحقة، وسيكون مجددا في أولويات إدارة ترامب القادمة، والتي ستكون منسجمة حتماً مع «السياسة الإسرائيلية» في عموم «منطقة الشرق الأوسط» بوجهيها العربي والإسلامي.

لقد بدأ القرن الحادي والعشرون بحربٍ أميركية على الإرهاب برّرتها أعمال الإرهاب التي حدثت في الولايات المتحدة العام 2001، لكن ساحات هذه الحرب الأميركية كانت البلاد العربية والإسلامية، والقوى المشاركة فيها شملت الكثير من الدول الغربية، ممّا أعاد للذاكرة العربية ما حدث في مطلع القرن الماضي من استعمارٍ واحتلالٍ وهيمنة أوروبية على المنطقة العربية، ومن تقسيم للأرض والشعوب العربية، حيث قامت كياناتٌ ودولٌ متصارعة على الحدود فيما بينها، بينما هي أحقُّ بأن تكون أمَّةً واحدة ذات كيانٍ سياسيٍّ واحد، كما هي أمم العالم الأخرى.

لكنّ الفارق بين حال «الأمّة الأميركية» مثلاً، وحال «الأمّة العربية»، هو أن توحيد الولايات الأميركية على أسس دستورية سليمة، جعل منها أمّةً واحدة، رغم عدم وجود العمق التاريخي لها ولعناصر تكوين الأمم. فهل كانت أميركا قادرةً على جعل القرن العشرين «قرناً أميركياً»، وعلى التحوّل إلى القوة الأعظم في العالم لو لم تكن الأمّة الأميركية أمّةً موحدة، أو لو انتهت الحرب الأهلية الأميركية في الربع الأخير من القرن التاسع عشر بانفصال الولايات الجنوبية عن الولايات الشمالية؟!

طبعاً، لم تكن هناك «أيدٍ غريبة» ولا «تدخّلاً خارجياً» في الحرب الأهلية الأميركية، كما هو حال الكثير من الأزمات العربية الراهنة، ولم يكن هناك «مجلس الأمن الدولي» الذي يقرّر الآن مصير حروب ودول وشعوب، ولم يكن هناك صراع إرادات أجنبية أو «لعبة أمم» على الأرض الأميركية، كالذي نراه يحدث الآن على الأرض العربية.

تُرى، لِمَ هذا التناقض الأميركي بين السياسة الحالية وبين خلاصاتٍ مهمّة من تاريخ التجربة الأميركية. فاستقلال أميركا عن التاج البريطاني كان حصيلة مقاومةٍ أميركية مسلّحة قادها جورج واشنطن. كذلك، كان في التجربة الأميركية أنّ أبراهام لنكولن قاد الجيش الاتحادي الشمالي ضدَّ انفصال الجنوب الأميركي، ولم يكن موقف واشنطن آنذاك قائماً على حقّ «الجنوب الأميركي» بتقرير مصيره! أيضاً في التجربة الأميركية، أنّ قادة 13 ولاية اجتمعوا في فيلادلفيا عام 1787 لأشهرٍ كثيرة وهم يتحاورون بشأن كيفية تحقيق الاتحاد والتكامل بين هذه الولايات، عوضاً عن الشرذمة فيما بينها والصراعات التي عصفت بها عقب الاستقلال الأميركي. هذا هو النموذج الأميركي المطلوب للعالم وليست أميركا العنصرية أو أميركا العدوانية أو أميركا دونالد ترامب.

إنَّ العرب يريدون لأمَّتهم ما أراده الأميركيون للأمَّة الأميركية حينما تحرّروا من الهيمنة البريطانية، وما فعله الأوروبيون في قارّتهم المليئة بالصراعات الدموية التاريخية وبالتنوّع الديني والإثني والثقافي. العرب يريدون لأمَّتهم تكاملاً بين أوطان الأمَّة الواحدة وتطويرَ صيغ العمل العربي المشترك وصولاً إلى النموذج الاتحادي الأوروبي، إنْ تعذَّر الوصول الآن إلى النموذج الفيدرالي الأميركي. العرب يريدون في أمَّتهم حقَّ رفض أيّة دعواتٍ انفصالية أو تقسيمية في كلِّ بلدٍ عربي، وتثبيت وحدة الكيانات ووحدة الأوطان ووحدة المواطنين.

وهل حالت القنابل الأميركية النووية في اليابان من ولادة المنافس الاقتصادي الياباني؟ وهل منعت «الحرب الباردة» ووجود قواتٍ أميركية وروسية في معظم دول أوروبا وتقسيمها بين «شرق» وغرب» من أن تتّجه هذه الدول نحو التكامل والاتحاد؟ وهل أنهى تقسيم ألمانيا، واحتلالها من «الشرق» والغرب»، روح الاستقلال وإرادة التوحّد في الأمَّة الألمانية؟.

هذه أمثلةٌ لدول المنطقة العربية كي تتمثّل بها. لكنّ «الحال العربي» سيبقى ضعيفاً طالما أنّ الحياة الدستورية السليمة مازالت مغيَّبَة، والصراعات الداخلية والعربية هي السائدة!